

دراسة مدى تأثير المعاملة الوالدية على الإكتئاب واستراتيجيات الكوبين عند الأبناء

د. كشرود هدى مخبر "التربية-التكوين-العمل"

أ. بوسنه محمود مخبر "التربية-التكوين-العمل" *

ملخص

رغم تطور النظام الاجتماعي والثقافي في المجتمع الجزائري، تبقى الأسرة الخلية الأولية والإطار المرجعي الأساسي للتفاعل بين كل أعضائه، وللوالدين الدور الرئيسي في كثير من الخبرات اليومية للأبناء. فهما أول وسط سيكولوجي واجتماعي يتعلم الطفل من خلاله النماذج الأولية لمختلف اتجاهاته، وتتولد عبره السمات النفسية التي سوف تحدد معالم شخصيته.

ويذهب فريق من السيكلوجيين أمثال بريس 1987، Perris إلى اعتبار التفاعلات التي تكون على مستوى الجماعة العائلية - لا سيما منها علاقات الآباء بالأبناء - سببا في تشكيل "القابلية للتأثر" "Vulnerabilité" من جهة، كما أنها تحدد الأساليب والاستراتيجيات التي يواجه بها الأفراد ضواغط الحياة ومشاكلها من جهة أخرى. فالأسلوب التربوي القائم على كثرة الضبط والتقييد قد يهيئ الجو لتشكل حساسية نفسية والوقوع في الإضطراب النفسي وكذا ضعف في أساليب مواجهة ضواغط الحياة أو استراتيجيات الكوبين. وتعرف استراتيجيات الكوبين على أنها مجموع الجهود المعرفية والسلوكية الموجهة للتحكم والتقليل من المتطلبات الداخلية والخارجية والتي تهدد وتتجاوز الموارد الشخصية للأفراد Lazarus et Folkman, (1984).

نظرا لقلة الدراسات التي تناولت هذه الافتراضات بالدراسة والبحث، ونظرا لعدم معرفتنا الواضحة للمكانزمات التي يمكن لبعض السلوكات التربوية أن تؤثر في شخصية الأفراد وتصرفاتهم من جهة، وفي تبنيهم بعض الأساليب لمواجهة ضواغط الحياة ومشاكلها من جهة أخرى، يسعى هذا البحث إلى محاولة تفسير علاقة الآباء بالأبناء من حيث تأثير طبيعة هذه العلاقة من حيث الصحة العامة في شخصية الأبناء وفي تشكل استراتيجيات معنية لمواجهة ضواغط الحياة.

Résumé

Dans un contexte social et culturel, la famille, en tant que structure sociale primaire, reste le noyau essentiel de référence qui non seulement détermine le comportement des individus, mais influence, en même temps, les stratégies pour faire face aux situations de stress.

Perris, 1987, avance même l'hypothèse que l'aspect éducatif, en particulier les qualités des échanges parents-enfants, contribuent et relativisent la fragilité, « vulnerability » des individus. Ce lien a été interprété de diverses façons non exclusive : Le type de comportement au sein d'une famille peut avoir des effets directs sur la stabilité ou l'instabilité psychologiques des individus, comme il peut avoir des effets indirectes sur le choix de certaines stratégies de « faire face » (coping). Le Coping est défini comme « l'ensemble des efforts cognitifs et comportementaux destinés à maîtriser, réduire ou tolérer les exigences internes ou externes qui menacent ou dépassent les ressources d'un individu » (Lazarus & Folkman, 1984). On connaît assez mal encore les mécanismes par lesquels certaines pratiques éducatives (perception de certaines dimensions du comportement parental) pourraient influencer le choix de l'individu et de ses mécanismes pour faire face aux situations stressantes.

Notre recherche se propose de vérifier certaines hypothèses récentes (Perris, 1980-1987) qui mettent l'accent sur le processus cognitif pour développer des mécanismes d'adaptation adéquats et mettent en évidence l'aspect culturel et éducatif en référence avec la vulnérabilité de l'individu et son choix de stratégies de faire face en situation de stress.

Ce travail présente les principaux concepts et modèles de la psychologie cognitive en se basant sur le modèle transculturel ; il synthétise les résultats des recherches scientifiques majeures menées depuis une trentaine d'années sur les aspects culturels et relationnels au sein de la famille associés à une certaine psychopathologie, en prenant en considération la perception des jeunes adultes vis-à-vis de certaines pratiques éducatives.

مقدمة

تعرف الجزائر الحديثة منذ استرجاع استقلالها، في ضوء التنمية الشاملة التي باشرت، جملة من التحولات الاقتصادية والثقافية والاجتماعية أدت إلى إحداث بعض التغيرات في نظام العلاقات البينية داخل الأسر والمجتمع. فقد عرفت البلاد تزايدا ديمغرافيا ملحوظا ساهم في إعادة تشكيل البنى الاجتماعية والعلاقات البينية لأفراد المجتمع. فمثلا عرف منحى إحصائيات الأسر تزايدا معتبرا خلال 22 سنة الأخيرة (1977 - 1998) حيث بلغت نسبة الزيادة 89%. (CENEAP, 2000).

وزادت وضعية الثقاف Acculturation، وظهر بعض الصراعات الثقافية Conflits culturels، الأمور تعقيدا، إذ ضاعفت من الحالات السيكوباتولوجية الجماعية منها والفردية. وأصبحت التوترات المتزايدة للمشاكل التربوية والصحة النفسية إحدى الاهتمامات الكبرى التي تواجه الباحثين والعاملين في هذين الحقلين. وهيات هذه التحولات الجو لمرور الأفراد إلى النموذج النظامي والقانوني الجديد والذي يبنى على مفهوم "المواطنة". وانطلاقا من كل ذلك بدت الأهمية واضحة في إعادة النظر في الأساليب التربوية الأساسية، وفقا لنموذج تربوي جديد.

رغم تطور النظام الاجتماعي والثقافي في المجتمع الجزائري، تبقى الأسرة الخلية الأولية والإطار المرجعي الأساسي للتفاعل بين كل أعضائه، ويستفرد الوالدان ضمنها بالوضع الرئيسي في كثير من الخبرات اليومية للأبناء. فهما أول وسط سيكولوجي واجتماعي يتعلم الطفل من خلاله النماذج الأولية لمختلف اتجاهاته، وتتولد عبره السمات النفسية التي سوف تحدد معالم شخصيته. فالوالدان يعتنيان بالطفل أكثر من أي فرد آخر في الأسرة أو في المجتمع الكبير، وهما اللذان يتصلان به زمنا أطول مما يتاح لغيرهما، وهما اللذان يقدمان تجارب الرضا ويعززان فيه تجارب المواجهة والتصدي لمشاكل الحياة وضغوطاتها.

يؤكد منظرو الأنثروبولوجيا الثقافية في هذا المجال أمثال دوفران 1972، Dufrenne ولينتون 1977، Linton، أهمية هذا الوسط الاجتماعي والثقافي في تشكيل شخصية الأفراد. فالبنى الاجتماعية والديناميات العائلية، والأساليب التربوية والنماذج السلوكية، تتغير وتتبلور وفقا للنظام الثقافي لتصل إلى تشكيل ما يعرف "بالشخصية الأساسية"، "Personnalité de base"، والتي هي جملة من الخصائص السيكولوجية المشتركة للأفراد الذين ينتمون إلى نفس الجماعة السوسيوثقافية.

ويؤكد فريق من السيكولوجيين أمثال بريس 1987، Perris إلى اعتبار التفاعلات التي تكون على مستوى الجماعة العائلية - لا سيما منها علاقات الآباء بالأبناء - سببا في تشكيل "القابلية للتأثر" "Vulnerabilité" من جهة، كما أنها تحدد الأساليب والاستراتيجيات التي يواجه بها الأفراد ضواغط الحياة ومشاكلها من جهة أخرى. فالأسلوب التربوي القائم على كثرة الضبط والتقييد قد يهيأ الجو لنشكّل حساسية نفسية والوقوع في الإضطراب النفسي وكذا ضعف في أساليب مواجهة ضواغط الحياة أو استراتيجيات الكوبين. وتعرف استراتيجيات الكوبين على أنها مجموع الجهود المعرفية والسلوكية الموجهة للتحكم والتقليل من المتطلبات الداخلية والخارجية والتي تهدد وتتجاوز الموارد الشخصية للأفراد (Lazarus et Folkman, 1984).

نظرا لقلّة الدراسات التي تناولت هذه الإفتراضات بالدراسة والبحث، ونظرا لعدم معرفتنا الواضحة للمكانزمات التي يمكن لبعض السلوكات التربوية أن تؤثر في شخصية الأفراد وتصرفاتهم من جهة، وفي تبنيهم بعض الأساليب لمواجهة ضواغط الحياة ومشاكلها من جهة أخرى، يسعى هذا البحث إلى محاولة تفسير علاقة الآباء بالأبناء من حيث تأثيرها في شخصية الأبناء وفي تشكّل استراتيجيات معينة للمواجهة والتصدي في مستقبل حياتهم. كما تقدم هذه الدراسة ملخصا لجملّة من البحوث التي تناولت أبعاد المعاملة الوالدية في علاقتها ببعض الإضطرابات النفسية واستراتيجيات مواجهة الأبناء لضواغط الحياة. وتم الاعتماد في ذلك على مجموعة من الأدوات والتقنيات الحديثة، بعد التحقق من صلاحيتها على المجتمع الجزائري.

1- الإطار النظري للبحث.

يتفق معظم الباحثين في علم النفس على اختلاف أطهرهم النظرية أن العوامل التي تؤثر في تكوين سلوك الفرد وبناء شخصيته هي عوامل بيولوجية (وراثية) وأخرى اجتماعية- ثقافية، مع العلم أن للعوامل الاجتماعية- الثقافية وزنا كبيرا في تمييز الأفراد عن بعضهم البعض.

لذلك ركز الباحثون جل دراساتهم على العوامل الاجتماعية- الثقافية الخاصة بالمجتمع الذي يعيش فيه الأطفال والتي تتحدد بها شخصياتهم وتنمو إلي حد بعيد. وبما أن المجتمع ليس كيانا مجردا، فهو يعمل من خلال مؤسسات اجتماعية معينة يطلق عليها شافير، Shaeffer مؤسسات التطبيع الاجتماعي أو وكالات التطبيع والتي تتمثل فيما يأتي:

1. الأسرة .
2. الأقران والأقارب.
3. المؤسسات التعليمية.
4. المؤسسات المهنية.
5. وسائل الإعلام والاتصال المختلفة (عن معروف، 1972).

فالأسرة كمؤسسة أولية تساهم بقدر واسع في عملية التنشئة الاجتماعية للأفراد، أي العملية التي يدخل الطفل من خلالها إلى نظام اتصال وتبادل معقد تشرف وتحدد خصائص شخصيته ضمن الآخرين، وتمنح له الشعور بالوجود ككائن أوجد ضمن شبكة من الاتصالات الاجتماعية (Perron, 1971).

ويؤكد سوف 1960، أن إهتمام الباحثين بالأسرة يعود إلى كونها المحيط الاجتماعي الأول الذي يتعلم فيه الطفل النماذج الأساسية لمختلف الاتجاهات والسلوكيات فضلا عن دلالتها السيكولوجية، فهي مصدر الطمأنينة للطفل، إذ توفر له خبرات الرضا من جهة، وهي المظهر الأول للاستقرار والاتصال بالحياة من جهة أخرى.

ولهذا اهتم الكثير من السيكولوجيين بدراسة أساليب معاملة الوالدين لأبنائهم وما يمكن أن يترتب على ذلك من تأثير في دوافع الأبناء وقيمهم وتوقعاتهم وسلوكهم بوجه عام. وقد ركز الباحثون دراساتهم حول أثر المعاملة الوالدية في تشكيل سلوك الأبناء وبناء شخصياتهم. ومن الدراسات الرائدة في هذا المجال دراسة سيرز وآخرون 1957، Sears et al، التي بينت أن هناك عددا من العلاقات السببية بين الأساليب التي يتبعها الآباء والأمهات في التعامل مع الأطفال وبين سلوك هؤلاء الأطفال، كما بينت أن بعض سمات الشخصية عند الراشد هي امتداد لخبرات الطفولة المبكرة التي مر بها.

وخلصت بعض الدراسات إلى أن المعاملة الوالدية للأطفال الذين يعانون من بعض الاضطرابات النفسية تميل إلى تبني أسلوب الضوابط (الأوامر والنواهي والتشدد) بالمقارنة مع المعاملة الوالدية التي يتعرض لها الأطفال الأسوياء (أولسون، 1962؛ معروف، 1972؛ Osterrieth, 1983).

يبدو لنا بصورة واضحة من خلال ما سبق أن اتجاهات الأولياء في معاملة الأبناء تختلف من أسرة لأخرى، وتختلف استجابات الأبناء نتيجة لذلك. وبالتالي فإن نمو شخصية الطفل بصورة سوية تتوقف بدرجة عالية على مدى التفاعل الجيد في علاقته مع الوالدين.

إن أسلوب معاملة الوالدين يؤثر على نمو شخصية الطفل بصور متعددة حيث أن بعضها يزيد من درجة الحرية الممنوحة للفرد وتنمية الشعور بالأمن والاستقرار نتيجة للاختلاط بالآخرين، ومساعدته على التفكير وحل المشكلات ورسم الأهداف وإتاحة الفرصة لتنفيذ هذه الأهداف، والبعض الآخر يكون على العكس من ذلك.

وتعتبر طبيعة العلاقة بين الآباء والأبناء وطريقة إدراك الأبناء لأساليب معاملة آبائهم لهم عوامل هامة لها علاقة وطيدة بنشأة الأعراض السيكوباتولوجية عموماً والإكتئابية على وجه الخصوص وهذا ما جعلنا نهتم بهذه العلاقة في بحثنا هذا.

الإكتئاب كما يعرفه ستور، Storr، مفهوم لحالة انفعالية يعاني فيها الفرد من الحزن وتأخر الاستجابة والميول إلى التشاؤمية، وأحياناً تصل إلى درجة الميل إلى الإنتحار وكذلك قد تغلو درجة الشعور بالذنب عند الفرد إلى حد أنه لا يتذكر إلا أخطأه وذنبه وقد يصل إلى البكاء الحار (عبد العزيز موسى، 1993).

وأوضحت الأبحاث حول الإكتئاب خلال السنوات الماضية أن هناك اهتماماً كبيراً بكل من أسبابه ومدى انتشاره. ففي نشرة إحصائية صادرة عن المعهد القومي الأمريكي للصحة النفسية عام 1981، تبين منها أن الإكتئاب بأنواعه يعتبر في مقدمة كافة الاضطرابات النفسية من حيث الانتشار (غريب عبد الفتاح، 1988).

فقد بينت دراسات على عينات ومجتمعات مختلفة وجود علاقة إحصائية دالة بين بعض أساليب المعاملة الوالدية كالرفض وظهور القلق والشعور بالذنب وعدم التسامح وظهور الإكتئاب عند الأبناء

(Perris et al., 1983, 1985 ; Richter et al., 1990, 1991, 1994).

يشير مثلاً آيزمن وآخرون Eismann et al. 1990، في دراسة أجروها على عينات من بيئات ثقافية اجتماعية مختلفة، أن الأفراد المكتئبين، يصفون آباءهم أقل تسامحاً وأقل تشجيعاً، كما يصفون أمهاتهم أكثر رفضاً وأقل تسامحاً وتعاطفاً وتشجيعاً من العينة العادية.

وبينت دراسات أخرى على عينات ومجتمعات مختلفة وجود علاقة إحصائية دالة بين بعض أساليب المعاملة الوالدية كالرفض وظهور القلق والشعور بالذنب وعدم التسامح وظهور الإكتئاب عند الأبناء

(Perris et al., 1983, 1985 ; Richter et al., 1990, 1991, 1994).

يشير مثلاً آيزمن وآخرون Eismann et al. 1990، في دراسة أجروها على عينات من بيئات ثقافية اجتماعية مختلفة، أن الأفراد المكتئبين، يصفون آباءهم أقل تسامحاً وأقل تشجيعاً، كما يصفون أمهاتهم أكثر رفضاً وأقل تسامحاً وتعاطفاً وتشجيعاً من العينة العادية.

وتعتبر طبيعة العلاقة بين الآباء والأبناء وطريقة إدراك الأبناء لأساليب معاملة آبائهم لهم عوامل هامة لها علاقة وطيدة بنشأة الأعراض السيكيوباتولوجية عموماً والإكتئابية على وجه الخصوص وهذا ما جعلنا نهتم بهذه العلاقة في بحثنا هذا.

الإكتئاب كما يعرفه ستور، Storr، مفهوم لحالة انفعالية يعاني فيها الفرد من الحزن وتأخر الاستجابة والميول إلى التشاؤمية، وأحياناً تصل إلى درجة الميل إلى الانتحار وكذلك قد تعلو درجة الشعور بالذنب عند الفرد إلى حد أنه لا يتذكر إلا أخطاؤه وذنوبه وقد يصل إلى البكاء الحار (عبد العزيز موسى، 1993).

وأوضحت الأبحاث حول الإكتئاب خلال السنوات الماضية أن هناك اهتماماً كبيراً بكل من أسبابه ومدى انتشاره. ففي نشرة إحصائية صادرة عن المعهد القومي الأمريكي للصحة النفسية عام 1981، تبين منها أن الإكتئاب بأنواعه يعتبر في مقدمة كافة الاضطرابات النفسية من حيث الانتشار (غريب عبد الفتاح، 1988).

تمثل هذه الدراسات ودراسات أخرى الصفات الأساسية لطبيعة العلاقة بين الوالدين وأبنائهم والتي تجعل الأبناء أكثر عرضة للأمراض النفسية في مستقبل حياتهم حسب نموذج "القابلية للتأثر" "Vulnerability" الذي اقترحه بريس عام 1988، 1987، Perris. إذ ترتبط بعض أساليب المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء بصورة مباشرة بالاضطرابات النفسية كما ترتبط من جهة أخرى وبصورة غير مباشرة بالطرق والأساليب التي يتبناها الأبناء لمواجهة ضغوط الحياة في مستقبل حياتهم أو ما يعرف باستراتيجيات الكوبين.

نتحدث عادة عن الكوبين للإشارة إلى الطريقة التي يحاول بها الفرد التكيف مع الوضعيات الصعبة وأزمات الحياة. ويرى كل من راي وآخرون Rey et al. 1982، أن هذا المصطلح قد ينطوي من جهة على وجود مشكل حقيقي أو متصور ومن جهة أخرى على تهيئة إجابة لمواجهة الحدث (Paulhan 1995).

أعد هذا المصطلح كل من لزاروس ولوني 1978، وهو يشير إلى مجموع السياقات التي يضعها الفرد لتحول بينه وبين الحدث الذي يدرك كمهدد، وهذا من أجل

التغلب، التحمل أو التقليل من أثر هذا الأخير على صحته الجسمية والنفسية (Ray, Lindop, 1982; Paulhan, 1992).

لقد اختلفت الترجمات وتنوعت التسميات عبر الثقافات المختلفة لهذا المفهوم. إن كلمة كوبين مشتقة من الكلمة الإنجليزية المتداولة "To cope"، والتي تعبر عن كل أنواع النشاط الايجابي والمتمثل في الكفاح والصراع والمقاومة والتحدي والتغلب على المشكلات والمصاعب. وقد ترجمت هذه الكلمة إلى اللغة الفرنسية بـ "Strategies d'ajustement" والتي تعبر عن أنواع من سلوكات التوفيق والتسوية (Dantchev, 1989; Paulhan, 1995).

وعرفت هذه الكلمة في التعابير الفرنسية القديمة بـ Coup, Couper، وفي اللغة اللاتينية Colpus, Colaphus (frapper) أي ضرب. وفي اللغة الإغريقية Kolaphos، أي ضرب بطريقة حيوية ومكررة، وهذا ما يؤكد على الجانب الفعال والنشط وحتى الصراعى لمفهوم الكوبين. وقد فضل البعض الإبقاء والتعامل مع الكلمة الأصلية Coping كمصطلح تقني في الثقافات المختلفة (Paulhan, 1995).

لم يختلف الأمر في الترجمات العربية التي تعددت بدورها وتنوعت، فترجمه البعض بـ "المواجهة" (يوسف سيد، 1993؛ عبد المعطي، 1994؛ أحمد النبال وإبراهيم عبد الله هشام، 1994). واستعمل البعض مفهوم "التحمل" (عبد الباسط إبراهيم، 1994) وعبر عنه البعض بـ "التعامل" (رجب علي، 1992؛ خليل الشرفاوي، 1993؛ عبد الباسط إبراهيم، 1994). واستعمل البعض مفهوم "التكيف" (علي شعبان محمد، 1990) وترجمه عباس محمود عوض بـ "التأقلم" كما عبر عنه البعض بكلمة "استيعاب" (شافعي رجب؛ شعبان رجب علي، 1990) وترجم المفهوم أيضا "بالمقاومة".

ونرى أن الكلمات المستخدمة كتعريب لكلمة كوبين، رغم غزارتها، هي أقرب إلى وصف ما يتضمنه مفهوم الكوبين، مما هي ترجمة لمعنى المصطلح نفسه. ولهذا فصلنا كلمة الكوبين في هذا البحث كمفهوم تقني وما يحمله من معنى معرفي فعال وشعوري.

يرى بريس في نموذج المقترح "القابلية للتأثر" "Vulnerability"، لشرح أصل الاضطرابات النفسية، أن ادراكات الفرد لتجاربه داخل محيطه الأسري قد تؤثر في تحديد أنماط معينة من استراتيجيات الكوبين في حياته المستقبلية. وقد أدى هذا التصور إلى ضرورة الاهتمام بدراسة بعض الأساليب الوالدية في بلورة أنواع معينة من استراتيجيات الكوبين والتي تساهم في التخفيف من حدة بعض ضغوط الحياة التي قد يتعرض لها

الأبناء، إذ أصبح الاهتمام بكيفية حل المشكلات والتصدي لها ومقاومتها هدفاً من أهداف التربية الحديثة، الأمر الذي دفع الباحثين إلى الاهتمام بدراسة كيفية مواجهة الأحداث والمواقف الضاغطة واحتوائها واستقصاء العوامل المرتبطة بها. فقد سعت بعض البحوث، في السنوات الأخيرة إلى دراسة العلاقة بين أساليب المعاملة الوالدية ومختلف استراتيجيات الكوبين التي يتبناها الفرد في حياته المستقبلية. وقد أصبح هناك ضرورة للبحث في مجال الأساليب والطرق التي يتعامل من خلالها الأفراد لمواجهة المواقف الضاغطة.

إذا كانت الأبحاث حول إدراك أهمية المعاملة الوالدية في تحديد وتشكيل أنماط معينة من استراتيجيات الكوبين قليلة في البلاد الغربية، فإنها منعدمة - في حدود علم الباحثة - في البلاد العربية، فرغم أهميتها، لم نقف على دراسات تناولت هذا الموضوع بالبحث والتقيب ولعل هذا ما يزيد من أهمية هذه المسألة في بحثنا هذا.

يرى بيرس 1987، Perris، من خلال نموذج النظري حول "القابلية للتأثر" (Vulnerability)، أن خبرات الطفولة خلال عملية التنشئة الاجتماعية لا سيما العلاقة بين الآباء والأبناء تؤثر من جهة وبصورة مباشرة في قابلية الفرد للتعرض للتظاهرات السيكوباتولوجية في مستقبل حياته كما تؤثر من جهة أخرى وبصورة غير مباشرة في تشكيل أنماط معينة من استراتيجيات الكوبين. (Perris, 1987, 1988).

وتبين من خلال الدراسة الرائدة لريشتار 1991، Richter في هذا الموضوع التحقق من افتراض بيرس Perris، أن المعاملة الوالدية التي يسودها الرفض والإفراط في الحماية تساهم في اكساب الفرد أسلوب التوجه الانفعالي الذي ينعكس فيما بعد على تعامله مع الأحداث الضاغطة. ويتضمن هذا النوع من استراتيجيات الكوبين مشاعر الضيق والتوتر والقلق والحدة الانفعالية. في حين ارتبطت المعاملة الوالدية التي تتصف بالدفع العاطفي والتسامح والقبول بأسلوب التوجه نحو المشكل للتصدي لمشكلات الحياة وأزماتها، وفيها يلجأ الفرد للتعامل مباشرة مع المشكلة بصورة واقعية وعقلانية.

فالمعاملة الوالدية التي يسودها الرفض والعقاب المستمرين قد تؤدي إلى تكوين ومخاوف كامنة وتعزز من مشاعر عدم الأمن عند الطفل وتؤدي بالتالي إلى عرقلة القدرة الاستكشافية والسلوكات النشطة للكوبين. كما أن السلوكات الوالدية التي تمارس نوعاً من الكف تؤثر في قدرات الأبناء وتضعف من استراتيجيات الكوبين لديهم. ويؤدي التعارض بين الآباء والأبناء في بعض الاحتياجات والضرورات إلى أنواع من السلوكات السلبية والانسحاب والتفكير الخيالي (Richter, 1994).

وتتضح أهمية الدراسة الحالية من طبيعة الظاهرة التي تتصدى لها وبما تحمله المشكلة من تساؤلات لم تتطرق لها الدراسات إلا نادرا. فهي تتناول علاقة إدراك أساليب المعاملة الوالدية وما يمكن أن تساهم فيه في توازن سلوك الفرد أو اختلاله من جهة وفي مدى قدرة هذا الأخير في إدارة وتسيير بعض العضلات والضغوطات التي يمكن أن تواجه الفرد في مستقبل حياته من جهة أخرى .

فقد أشارت بعض الدراسات إلى أن المعاملة الوالدية ليست هي في حد ذاتها التي تؤثر في تحديد سلوكيات الفرد وفي تكوين شخصيته المستقبلية بل يعزى التأثير إلى طريقة "إدراك" الفرد لهذه المعاملة وما يمكن أن يسببه من ظهور بعض الأعراض المرضية الاكلينيكية - في بحثنا الاكتئاب - من جهة وفي تحديد طبيعة أساليب المواجهة أو الكوبين من جهة أخرى.

ويعتبر التعرف على طريقة الفرد في إدارة هذه الضغوط والأساليب المختلفة المستخدمة للتعامل معها ومواجهتها مؤشرا هاما للتنبؤ بسمات شخصيته ومدى شدة الإضطرابات والأمراض النفسية التي قد يتعرض لها.

كما تتمثل الأهمية النظرية للدراسة الحالية فيما تسعى إليه من عرض ومتابعة الدراسات السابقة الحديثة في مجال تحديد أساليب المعاملة الوالدية واستراتيجيات الكوبين والتي أشارت في مجملها إلى وجود ارتباط وثيق بين تلك الأساليب وكل من الإضطرابات النفسية.

وتحدد أهمية الدراسة على المستوى العلمي في محاولة تقنين وتكيف البعض من أدوات القياس والتحقق من صدق وثبات البعض الآخر في بطارية بحثنا. وبذلك نكون قد ساهمنا في توسيع دائرة الدراسات عبر الثقافية.

وتكمن الأهمية التطبيقية لهذه الدراسة فيما نتناوله من متغيرات نفسية يمكن الاستفادة من نتائجها في التخطيط ووضع البرامج لعمليات الإرشاد والعلاج النفسي للأفراد ذوي المعاناة المرتفعة من جراء إدراكاتهم لبعض الأساليب السلبية في معاملة آبائهم والأفراد الأكثر ميلا لاستخدام الأساليب السلبية في مواجهة ضغوطات الحياة، وكذا مساهمتها في تحديد البرامج الوقائية وتقديم الخدمات النفسية الإرشادية لبعض الأولياء لنفهم أبناءهم ومحاولة التقرب أكثر من نفسيتهم.

وأخيرا تستمد هذه الدراسة أهميتها من أهمية الشريحة العمرية التي تتناولها بالدراسة، ألا وهي فئة الشباب الجامعي الذي يمثل القوة البشرية المتعلمة التي سيقع عليها عبء تطوير المجتمع وإنجاح مشاريعه وبالتالي يجب النظر إلى صحته وسلامته حيث أنه ينبغي أن تتمتع هذه الشريحة بصحة نفسية عالية حتى نضمن بناء مجتمع قوي ومتزن.

بالإضافة إلى ذلك فإن هذه الدراسة تلقي الضوء على ضرورة العمل في إطار الاستثمار الاجتماعي فيما يخص التربية و التعليم وعلى البرامج الخاصة بباب النفقات التي تمس عمليات التكفل بالصحة النفسية للمتعلمين وهذا من أجل تحسين مردودية القطاع وإيجاد شروط النجاح في تكوين وتأهيل شباب يتمتع بصحة وقوة نفسية تمكنه من تحمل مسؤولياته بعزم وثبات.

2- منهجية البحث

يحاول البحث الحالي دراسة مدى صحة افتراض نموذج بريس "Perris" حول قابلية الفرد للتأثر "Vulnerability" وهذا من خلال دراستنا للعلاقة بين المعاملة الوالدية واستراتيجيات الكوبين، إذ أننا نفترض أن الأبناء الذين يدركون الدفء العاطفي في معاملة والديهم يكونون أقل عرضة للتظاهرات الإكتئابية، عكس الأبناء الذين لا يدركون هذا الدفء في معاملة والديهم والذين يتضاعف عندهم احتمال التعرض للإكتئاب. كما أننا نفترض أن الأبناء الذين يدركون الضبط والتحكم في معاملة والديهم يتعرضون أكثر من غيرهم للإكتئاب، عكس الأبناء الذين لا يدركون هذا البعد في معاملة والديهم والذين يكونون أقل تعرضا للإكتئاب. ومن جهة أخرى فإننا نتوقع من المعاملة الوالدية التي تتميز بالدفء العاطفي، تحث الأبناء على استخدام إستراتيجيات الأداء التي تتميز بالتروي والعقلنة في مواجهة أزمات الحياة ومشاكلها. في حين أن إدراك الأبناء لكثرة الضبط والتحكم في معاملة والديهم أمر يجعلهم أكثر استخداما للإستراتيجيات الإنفعالية والإندفاعية أمام المواقف الضاغطة.

2-1 أدوات البحث:

عمدنا إلى تطبيق أدوات البحث في صورة بطارية شملت الأدوات التالية:

1. بطاقة البيانات الشخصية والاجتماعية:

لقد حددنا بهذه الاستمارة، السن، الجنس، الإقامة وحالة الوالدين ونوع التخصص الدراسي وبعض المعلومات الخاصة بالمستجوبين.

2. اختبار "أمبو" (EMBU) لأساليب المعاملة الوالدية كما يراها الأبناء:

من إعداد بريس وآخرون 1980، (Perris, Jakobson, Lindstrom, Vonknoring et Perris)، وهو اختبار سويدي أعد خصيصاً لقياس إدراك أساليب المعاملة وذلك لكل من الأب والأم على حده.

يقيس هذا الاختبار أربعة عشر مقياساً مميزاً لأساليب المعاملة الوالدية محدداً إلى أي حد يتسم أسلوب الأب والأم بهذه الصفات، وهذه المقاييس هي:

1. الإيذاء الوالدي: تعرض الطفل للإيذاء الجسدي كالضرب أو أي صورة أخرى من صور العقاب البدني بطريقة قاسية ومستمرة على أخطاء بسيطة تجعله يشعر بالظلم.
2. الحرمان الوالدي: حرمان الطفل من الأشياء المادية أو المعنوية التي قد يحتاجها.
3. العقاب: عقاب الطفل بطريقة مفرطة وغير مبررة.
4. الإذلال: توبيخ الطفل ووصفه بصفات مسيئة أمام أشخاص آخرين أو معاملته بطريقة تشعره بالنقص أو الدونية.
5. الرفض: تجنب الحديث مع الطفل أو التعامل معه لفترة طويلة من الزمن على أخطاء بسيطة وحرمانه من الحب الوالدي.
6. الحماية الزائدة: الخوف على الطفل بصورة مفرطة واستحوائية.
7. التدخل الزائد: التدخل في كل صغيرة وكبيرة في حياة الطفل بشكل يحد من حريته.
8. التسامح: احترام آراء الطفل وتصحيح ما يجب تصحيحه بلطف مع بث الثقة في نفسه.
9. العطف الوالدي: إظهار الحب والود والمساندة للطفل سواء بالفعل أو بالكلام.
10. التوجيه للأفضل: توجيه الطفل نحو النجاح سواء في الدراسة أو في مجال العمل.
11. الإشعار بالذنب: التقليل من شأن قيمة الطفل بطريقة تشعره دوماً بالندم والذنب حتى على الأخطاء التي لم يرتكبها.
12. التشجيع: مساندة الطفل ومساعدته والوقوف بجانبه في المواقف الصعبة.

13. تفضيل الأخوة: تفضيل الأخوة الآخرين على للطفل بشكل يجعله يشعر بالنبيذ.

14. التدليل: تحقيق كل رغبات الطفل بشكل مفرط، والاهتمام به أكثر من أخوته، بصورة تعوقه عن تحمل المسؤولية بمفرده.

وللتأكد من صلاحية هذا المقياس على البيئة الجزائرية تمت ترجمته عن النسخة الأصلية المكونة من 81 عبارة ووزع بعد ذلك على عينة مكونة من 38 طالب وطالبة لاختبار الصياغة اللغوية ووضوح العبارات، كما وزع في مرحلة لاحقة، لاستخراج عوامل الثبات والصدق، على عينة ثانية مكونة من 300 فرد بمتوسط عمر 20،8 سنة.

صدق الإختبار:

تم حساب صدق الإختبار بطريقتين:

أ- الصدق الظاهري (صدق المحكمين):

عرض الإختبار على ثمانية محكمين (أساتذة في معهد علم النفس وعلوم التربية)، حيث حصلت عبارات المقاييس على موافقة لا تقل عن 80% من المحكمين الذين أكدوا أن الأساليب التي يقيسها الاختبار شائعة الاستخدام في البيئة الجزائرية، وأن الاختبار يتمتع بدرجة مناسبة من الصدق الظاهري.

ب- الصدق العاملي:

أخضعت المقاييس الأربعة عشر إلى التحليل العاملي بطريقة المكونات وتدوير المحاور بطريقة Varimax. وتبين من التحليل أن أساليب معاملة الآباء للأبناء تشعبت على ثلاثة أبعاد هي:

1. الضبط مقابل التسامح.

2. التوجيه نحو الأفضل.

3. التدليل.

كما تشعبت أساليب معاملة الأمهات على بعدين أساسيين هما:

1. الضبط مقابل التسامح.

2. الدفء العاطفي مقابل الرفض.

ويمكن لنا تفسير الضبط الوالدي مقابل التسامح، أساسا بالمقاييس الفرعية المتمثلة في العقاب، الإذلال، الإشعار بالذنب، تفضيل الأخوة، الحرمان، التدخل الزائد، القسوة وأخيرا التسامح. كما يمكن أن ينظر إلى هذا البعد كعامل رئيسي عام للمعاملة الوالدية، يشمل في أحد طرفيه على عناصر سلوكية ضابطة وقاهرة اتجاه الطفل، كما يشمل في الطرف الآخر على نوع من التساهل والتسامح مع الطفل وقد تراوح تشبع المقاييس الفرعية بين -0.48 و 0.84 للآباء و -0.43 و 0.82 للأمهات.

والبعد الثاني والمتمثل في التوجه نحو الأفضل بالنسبة للآباء والدفء العاطفي بالنسبة للأمهات فيمكن اعتباره كذلك بعدا ثنائي القطب يشمل من جهة على عناصر إيجابية في المعاملة الوالدية كالتشجيع والتعاطف الوالدي وعلى عناصر سلبية كالرفض والحماية المفرطة. وتراوح قيم التشبع بين 0.58 و 0.80 للآباء و 0.79 و 0.61 للأمهات.

أما البعد الثالث والخاص بالآباء فقط والمتمثل في التدليل فكان تشبعه مهما على مقياس التدليل، إذ قدر بـ 0.92.

النتائج:

تم حساب الثبات عن طريق الاتساق الداخلي لمختلف المقاييس وذلك باستخدام معاملات ألفا كرونباخ، إذ يسمح هذا الأخير بتقدير الاتساق الداخلي لكل مقياس (Cortina, 1993) كما أنه حساس لمجموعة من العوامل كعدد بنود المقياس (Peterson, 1995).

أوضحت النتائج أن معاملات ألفا للمقاييس الأربعة عشر قد تراوحت بين 0.29 و 0.77 بالنسبة للآباء وبين 0.29 و 0.74 بالنسبة للأمهات، كما بلغ معامل ألف لكل الاختبار 0.91 وهي قيمة ذات دلالة مرتفعة، وتؤكد لنا صلاحية الاختبار على العينة الجزائرية.

3. مقياس بيك للإكتئاب BDI:

ويعرف هذا الاختبار باختصار بقائمة بيك للإكتئاب (Beck depression inventory) (BDI)، وهو عبارة عن قائمة للتقرير الذاتي أعدت خصيصا لقياس درجة الاكتئاب على العينات المكتتبه وكذلك معاينة الأعراض الاكتئابية على العينات المعافاة. وأعد هذا المقياس في الأصل الطبيب النفسي الأمريكي أرون بيك وآخرون 1961، (Beck, Ward, Merdelsion, Mochet et Erbaugh) وعرف نجاحا عالميا واسعا حيث تم الاستعانة به حتى سنة 1988، في حوالي 1000 بحث، كما تم ترجمته إلى عدة لغات (Beck et al., 1988)

يتكون المقياس في الأصل من 21 مجموعة من الأعراض تتضمن كل مجموعة أربع عبارات، تصف كل عبارة أعراضاً متدرجة من أقلها شدة إلى أكثرها شدة. وفي عام 1972 قام بيك وأحد معاونيه باستخراج نسخة مختصرة للمقياس تتكون من 13 مجموعة من الأعراض السابقة وهي:

- 1- الحزن.
- 2- التشاؤم.
- 3- الشعور بالفشل.
- 4- عدم الرضا.
- 5- الشعور بالذنب.
- 6- مشاعر سلبية اتجاه الذات.
- 7- اتهام الذات.
- 8- الانسحاب الاجتماعي.
- 9- التردد.
- 10- تغيير في صورة الذات.
- 11- صعوبة العمل.
- 12- التعب.
- 13- فقدان الشهية.

وقدر معامل الارتباط بين النسخة الأصلية والنسخة المختصرة بـ 0.96 (Beck et al., 1972).

إلا أن العديد من الأبحاث ما زالت تستخدم النسخة الأصلية لـ (Stear et Beck, 1985 ; BDI Vredenberger et al., 1985).

واستخدم في البحث الحالي الصورة المختصرة من المقياس التي تتميز بكل خصائص المقياس الجيد مقارنة بغيره من المقاييس الأخرى مثل مقياس جلغورد - زيمرمان للمزاج ومقياس الاكتئاب من MMPI وغيرها.

ترجم المقياس للعربية لأول مرة سنة 1981 من قبل غريب عبد الفتاح غريب واستخدم بعد ذلك على نطاق واسع في البلاد العربية حيث ثبت صدقه وثباته. (غريب عبد الفتاح غريب، 1993)

كما تم اختبار الخصائص السيكومترية للمقياس على عينات جزائرية في دراسة لبشير معمريّة 1978 من جامعة باتنة أثبتت بدورها أن معاملات الثبات والصدق كانت دالة إحصائياً.

4. قائمة الكوبين للوضعيات الضاغطة CISS:

من إعداد أندلر وباركر 1990، Endler et Parker، وهي قائمة أعدت خصيصاً لقياس المظاهر متعددة الأبعاد للكوبين وقد أعد CISS على أسس نظرية وأمبيريقية وتم استخدامه في العديد من الأبحاث والتطبيقات مما يسمح بمقارنة نقاط الاختبار بمتغيرات أخرى ذات علاقة بالصحة والشخصية (Endler et Parker, 1998).

تتكون هذه القائمة من ثلاثة مقاييس أساسية للكوبين وهما:

1. كوبين الأداء " T "، ويصف كل المجهودات الموجهة نحو الأداء لحل المشكل وتغيير الوضعية الضاغطة مصدر القلق.
2. كوبين الانفعال " E "، ويصف ردود الأفعال الانفعالية الموجهة نحو الأنا بهدف التقليل من حدة الضغط. وتتضمن هذه الردود الاستجابات الانفعالية والاهتمامات الشخصية والميل إلى الخيال.
3. كوبين التجنب " A "، ويصف كل النشاطات والتغيرات التي ترمي إلى تجنب الموقف الضاغط وهذا عن طريق إما الإلتفاء بوضعيات ونشاطات أخرى (مقياس الإلتفاء " D ") أو عن طريق إنشاء علاقات مع أشخاص آخرين، (مقياس التنوع الاجتماعي " S.D "). ويعتبر هذان المقياسان تنوعان للمقياس الرئيسي "A" في قائمة CISS.

لقد تم ترجمة الاختبار من اللغة الفرنسية إلى اللغة العربية وتم تطبيقه على عينة مكونة من 42 فرد بمتوسط عمر 24،6 لاختبار الصياغة اللغوية ووضوح العبارات. وللتأكد من صدقه وثباته، وزع مرة أخرى على عينة مكونة من 54 فرد بمتوسط عمر 25،7، حيث إختبر الصدق بواسطة التحليل العاملي عن طريق المكونات وتدوير المحاور بطريقة الفارماكس. أسفرت النتائج على وجود العوامل الأساسية لـ CISS وكذا المكونات الفرعية وتراوحت التشبعات على المقاييس الأساسية الثلاث بين 0،31 و0،79 كما قدرت تشبعات المقاييس الفرعية بين 0،31 و0،76. وتم اختبار الثبات على نفس العينة عن طريق معاملات ألفا كرونباك حيث تراوحت بين 0،78 و0،81 على المقاييس الأساسية و0،66 و0،72 على المقاييس الفرعية .

ب- عينة البحث:

تكونت عينة البحث الأولية من 316 طالب وطالبة، غير أن التحليل اقتصر على 246 طالب فقط استنادا إلى استجاباتهم الواردة في بطاقة البيانات الشخصية والاجتماعية، إذ تمّ استبعاد الطلبة الذين لا يعيشون مع الوالدين في منزل واحد والطلبة الذين شارك أكثر من طرف في تربيتهم إلى جانب الآباء كالجدة أو العم والعمة أو الأخت والأخ الأكبر... الخ ، حيث يصعب على كل هؤلاء تحديد طريقة المعاملة، كما تم استبعاد الطلبة الذين لم يقدموا إجابات كاملة لبطارية البحث.

حددت عينة البحث النهائية بـ 246 طالب وطالبة قدر المتوسط الحسابي لأعمارهم بـ 19.89 سنة. والجدول التالي يوضح ذلك:

موقع البحث	التخصص	ن	%
المدرسة العليا للعلوم الإنسانية - بوزريعة-	لغة إنجليزية	26 52	21.1
	لغة فرنسية	22	10.6
	لغة عربية		8.9
-المدرسة العليا للعلوم الدقيقة - القبة-	علوم دقيقة جذع مشترك	59	24.0
-كلية العلوم الاجتماعية - بوزريعة-	علوم اجتماعية جذع مشترك	49	19.5
-المدرسة الوطنية للتجارة - الجزائر-	علوم تجارية	39	15.9
المجموع	_____	246	100

جدول (1): توزيع أفراد عينة التطبيق النهائي حسب الكليات والمدارس العليا.

3- عرض النتائج ومناقشتها

في البداية يتم عرض بيانات العينة ككل ووصف استجاباتها على مختلف متغيرات البحث وهذا وفقا لتقنيات الإحصاء الوصفي، ونحن في ذلك نحاول إبراز نقاط الكثافة والتمركز على مختلف متغيرات البحث، ودراسة بعد ذلك العلاقة الممكنة بين هذه المتغيرات معتمدين على تقنيات الإحصاء التحليلي.

1.3 المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء.

يقدم لنا الجدول (2) نتائج المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء .

المتغير	الفئات	المجموع		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
		ن	%		
الدفع العاطفي (آباء)	تحت المتوسط	3	1,21	51,08	11,05
	متوسط	17	6,91		
	مرتفع	37	15,04		
	جد مرتفع	189	76,82		
الدفع العاطفي (أمهات)	تحت المتوسط	2	0,81	54,08	9,99
	متوسط	9	3,65		
	مرتفع	27	10,97		
	جد مرتفع	208	84,55		
الضبط (آباء)	تحت المتوسط	107	43,49	23,08	7,12
	متوسط	117	47,56		
	مرتفع	21	8,53		
	جد مرتفع	1	0,40		
الضبط (أمهات)	تحت المتوسط	109	44,30	22,50	6,64
	متوسط	125	50,81		
	مرتفع	12	4,87		
	جد مرتفع	-	-		

جدول (2): أبعاد المعاملة الوالدية كما يدركها الأبناء (عرض البيانات للعينة ككل).

يتبين من الجدول (2) أن أكبر نسبة من أفراد عينة البحث أدركت الدفع العاطفي جد مرتفع 76,82% فيما يخص معاملة الآباء و84,55% فيما يخص معاملة الأمهات ، تليها فئة الدفع العاطفي المرتفع 15,04% للآباء و10,97% للأمهات، وتوزعت النسبة الباقية على الفئات الأخرى.

أما فيما يتعلق ببعد الضبط الوالدي، فإن أكبر نسبة من الأبناء أدركت الضبط الوالدي بشكل متوسط سواء في معاملة الآباء 47,56% أو في معاملة الأمهات 50,81%، تليها

الفئة التي أدركت الضبط الوالدي تحت المتوسط 43,49 % للآباء و 44,30% للأمهات.

يتبين من كل هذا أن أغلب الأبناء يدركون معاملة والديهم على أنها تتسم بالدفع العاطفي وبالمقابل يدركون الضبط الوالدي على أنه متوسط أو تحت المتوسط.

2,3 الإكتئاب:

يعرض الجدول (3) نتائج أفراد العينة ككل فيما يخص الإكتئاب.

الفئات	المجموع		المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري
	ن	%		
عدم وجود إكتئاب	50	20,32	9,57	5,47
معتدل	48	19,51		
متوسط	114	46,34		
شديد	34	13,82		

جدول (3) : الإكتئاب (عرض البيانات للعينة ككل).

يبين لنا الجدول (3) أن أكبر نسبة من عينة البحث تمثلها الفئة التي نجد مستوى الإكتئاب عندها متوسط 46,34 % (114 فرد) من المجموع الكلي للعينة، تليها الفئة التي لا تعاني من الإكتئاب بنسبة 20,32 % (50 فرد)، ثم الفئة التي تعاني من الإكتئاب بصورة معتدلة بنسبة 19,51 % (48 فرد)، وأخيرا الفئة التي لديها إكتئاب شديد بنسبة 13,82 % (34 فرد). وبصورة وجيزة يمكن القول أن أكبر نسبة في أفراد العينة هي تلك التي تقع عند فئة الإكتئاب المتوسط.

3.3. استراتيجيات الكوبيين:

فيما يلي جدول (4) يقدم لنا نتائج استجابات أفراد العينة على مختلف استراتيجيات الكوبيين.

المتغير	الفئات	المجموع		المتوسط الحسابي	الإحراف المعياري
		ن	%		
الأداء	تحت المتوسط	10	4,06	56,50	10,67
	متوسط	88	35,77		
	مرتفع	101	41,05		
	جد مرتفع	47	19,10		
الإنفعال	تحت المتوسط	26	10,56	49,90	11,98
	متوسط	139	56,50		
	مرتفع	55	22,35		
	جد مرتفع	26	10,56		
التجنب	تحت المتوسط	62	25,20	43,50	10,78
	متوسط	157	63,82		
	مرتفع	25	10,16		
	جد مرتفع	2	0,81		
الإلتواء	تحت المتوسط	25	10,16	20,17	6,84
	متوسط	124	50,40		
	مرتفع	73	29,67		
	جد مرتفع	24	9,75		
التنوع الاجتماعي	تحت المتوسط	40	16,26	15,53	4,78
	متوسط	181	73,57		
	مرتفع	25	10,16		
	جد مرتفع	-	-		

الجدول (4): إستراتيجيات الكوبيين (عرض البيانات للعينة ككل).

يوضح لنا الجدول (4) عينة البحث موزعة على الفئات المختلفة لإستراتيجيات الكوبين كما يلي :

- التوجه نحو الأداء: يتوزع أفراد العينة فيما يخص هذه الإستراتيجية بنسبة 41,05 % على فئة الأداء المرتفع (101 فرد) ، يلي ذلك فئة الأداء المتوسط بنسبة 35,77 % (88 فرد) ثم فئة الأداء المرتفع جدا بنسبة 19,10 % (47 فرد)، وأخيرا فئة الأداء تحت المتوسط بنسبة 4,06 % (10 أفراد).

- التوجه نحو الإنفعال: وظهرت فيه أكبر نسبة 56,50 % على فئة الإنفعال المتوسط (139 فرد)، ثم فئة الإنفعال المرتفع بنسبة 22,35 % (55 فرد) وأخيرا فئتي الإنفعال تحت المتوسط وجد مرتفع بنسبة 10,56 % (26 فرد) لكل فئة.

- التوجه نحو التجنب: ومثلت فيه أكبر نسبة 63,82 % فئة التجنب المتوسط (157 فرد) تليها فئة التجنب تحت المتوسط بنسبة 25,20 % (62 فرد) ثم فئة التجنب المرتفع بنسبة 10,16 % (25 فرد) وأخيرا فئة التجنب جد المرتفع بنسبة 0,81 % بفردين.

- أما بالنسبة للمقاييس الفرعية للتجنب وهي الإلتواء والتنوع الاجتماعي فقد كان أكبر إسهام لعينة البحث على مقياس الإلتواء في الفئة المتوسطة بنسبة 50,40 % (124 فرد)، ثم الفئة المرتفعة بنسبة 29,67 % (73 فرد)، تليها فئة تحت المتوسط بنسبة 10,16 % (25 فرد) وأخيرا فئة جد المرتفع بنسبة 9,75 % (24 فرد).

أما مقياس التنوع الاجتماعي فكانت أعلى نسبة 73,57 % على الفئة المتوسطة (181 فرد)، يلي ذلك فئة تحت المتوسط بنسبة 16,26 % ثم الفئة المرتفع بنسبة 10,16 % (25 فرد)، أما الفئة جد مرتفع، فلم تسجل بها أية نسبة.

ويمكننا القول، أن أكبر نسبة من أفراد العينة لهذين المقياسين تقع في الفئة المتوسطة، وهذا ما تؤكدته النتائج العامة لمقياس التجنب (63,82 %)

4.3. العلاقة بين إدراك المعاملة الوالدية والإكتئاب:

يقدم لنا الجدول (5) معاملات الارتباط بين أبعاد المعاملة الوالدية والإكتئاب.

	الدفء العاطفي		الضبط	
	الأب	الأم	الأب	الأم
الإكتئاب	-0.28 **	-0.25 **	0.25 **	0.20 **

جدول (5): معاملات الارتباط بين أبعاد المعاملة الوالدية والإكتئاب

** دالة عند مستوى 0.01.

يتضح من الجدول (5) فيما يخص إدراك معاملة الآباء والإكتئاب، أن هناك علاقة ارتباطية سالبة (-0.28) بين بعد الدفء العاطفي والإكتئاب عند الأبناء، كما ظهرت علاقة ارتباطية موجبة (0.25) بين الضبط الوالدي والإكتئاب، كلها دالة عند مستوى (0.01).

أما النتائج الخاصة بإدراك معاملة الأمهات والإكتئاب، فقد بينت بدورها وجود علاقة ارتباطية سالبة -0.25 بين بعد الدفء العاطفي والإكتئاب عند الأبناء، ووجود علاقة ارتباطية موجبة (0.20) بين الضبط الوالدي والإكتئاب كلها دالة عند مستوى (0.01).

وانطلاقاً من هذه النتائج نرى أن الفرض الذي ينص على وجود علاقة دالة بين أساليب المعاملة الوالدية على بعدي الدفء العاطفي والضبط الوالدي قد تحقق، وهذا يعني أن المعاملة الوالدية التي تتسم بالدفء والحب والتسامح والتشجيع لا تساهم في ظهور الإكتئاب عكس المعاملة التي يسودها الضبط والتحيز والعقاب المستمرين وعدم التواصل بين الآباء والأبناء والتي تساهم بقدر وافر في ظهور الإكتئاب.

والجدير بالملاحظة أنه حتى وإن كان هناك تقارب في قوة الارتباطات بين معاملة كل من الآباء والأمهات، إلا أن هناك اختلاف فيما يخص هذا الارتباط على بعد الضبط لصالح الآباء، حيث يبدو بأن العلاقة تتسم بقوة أكبر نوعاً ما بين إدراك معاملة الآباء والإكتئاب. وإن كان هذا الاختلاف بسيطاً إلا أنه ذا معنى اجتماعي وثقافي، إذ تؤكد الملاحظات الاجتماعية على مدى قوى العلاقة بين الأم وأبناءها في البيئة الجزائرية، حيث تعمل الأم دوماً على إظهار حبها وحنانها لطفلها لتوفر له الحماية من الوقائع المحيطية التي قد يتعرض لها، لذلك فالعلاقة مع الأم، وإن كانت تبدو أحياناً استحواذية، إلا أنها مفضلة عن العلاقة مع الأب الذي غالباً ما ينظر له على أنه شديد القساوة والعقاب وبالتالي شديد الضبط (Zerdoumi 1979, Foughali 1984).

إن هذه النتائج تذهب في نفس اتجاه بحث سابق على عينة جزائرية متكونة من 200 تلميذ من تلاميذ الصفوف الثانوية، حيث كانت مستويات الدلالة بين مقاييس الضبط في المعاملة الوالدية أكثر قوة وارتباطاً ببعد العصابية - التي تشمل في أحد طرفيها عدم الإئتران الانفعالي - في معاملة الآباء بالمقارنة مع معاملة الأمهات على مستوى نفس البعد (كشروود، 1991).

كما تتماشى نتائج هذه الدراسة ونتائج العديد من البحوث في البلاد العربية والغربية (مكايد طاهر 1990، عبد العزيز موسى 1993، السيد عبد الرحمان 1998، Eisman et al 1990, Perris et al 1983, Parker 1981, Crook et al 1981, Gelsma et al 1990)

5.3. العلاقة بين إدراك المعاملة الوالدية واستراتيجيات الكوبين:

يقدم لنا الجدول (6) نتائج معامل الارتباط فيما يخص العلاقة بين المعاملة الوالدية واستراتيجيات الكوبين.

استراتيجيات الكوبين	الدفع العاطفي		الضبط	
	الأب	الأم	الأب	الأم
-الأداء	0.166**	0.202**	0.063	0.0062
-الانفعال	0.007	0.006	0.268**	0.272**
-التجنب	0.198**	0.155*	0.031	0.056
-الالتواء	0.119	0.101	0.054	0.116
-التنوع الاجتماعي	0.184**	0.149*	0.039	0.011

جدول (6): جدول معاملات الارتباط بين أبعاد المعاملة الوالدية واستراتيجيات الكوبين

** دالة عند مستوى 0.01

* دالة عند مستوى 0.05

يمكننا أن نقدم تلخيصاً للنتائج المعروضة في الجدول (6) في نقطتين أساسيتين، الأولى تخص إدراك معاملة الآباء واستراتيجيات الكوبين عند الأبناء، والثانية تخص إدراك معاملة الأمهات واستراتيجيات الكوبين عند الأبناء.

أ- العلاقة بين معاملة الآباء واستراتيجيات الكوبين عند الأبناء:

يبدو واضحاً من النتائج المعلنة في الجدول (4) بأنه:

1- يوجد علاقة ارتباطية موجبة بين بعد المعاملة القائم على الدفء العاطفي واستراتيجية الكوبين المركز على كل من الأداء والتجنب والتنوع الاجتماعي (مستوى الدلالة 0.01).

2- لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين بعد المعاملة القائم على الدفء العاطفي واستراتيجيات الكوبين المركزة على كل من الانفعال والالتقاء.

3- توجد علاقة ارتباطية بين بعد المعاملة القائم على الضبط واستراتيجية الكوبين المركزة على الانفعال (مستوى الدلالة 0.01).

4- لا توجد علاقة ارتباطية ذات معنى بين أسلوب المعاملة القائم على الضبط واستراتيجيات المركزة على كل من الأداء، التجنب، الالتقاء والتنوع الاجتماعي.

ب- العلاقة بين معاملة الأمهات واستراتيجيات الكوبين عند الأبناء:

1- توجد علاقة ارتباطية موجبة بين إدراك بعد المعاملة القائم على الدفء العاطفي واستراتيجية الكوبين المركزة على الأداء (مستوى الدلالة 0.01) واستراتيجيتي كوبيين التجنب والتنوع الاجتماعي (مستوى الدلالة 0.05).

2- لا توجد علاقة ارتباطية ذات دلالة إحصائية بين المعاملة القائمة على الدفء العاطفي واستراتيجيتي الكوبين المركزة على الانفعال والالتقاء.

3- توجد علاقة ارتباطية موجبة بين بعد المعاملة القائمة على الضبط والاستراتيجية المركزة على الانفعال (مستوى الدلالة 0.01).

4- لا توجد علاقة ارتباطية ذات معنى بين المعاملة الوالدية المبنية على الضبط والاستراتيجيات المركزة على كل من الأداء، التجنب والالتقاء.

مما سبق نستخلص عدة نقاط يمكن ان نوجزها فيما يلي :

- يوجد علاقة ارتباطية موجبة بين بعد المعاملة الوالدية (آباء وأمهات) المبنية على أساس الدفء العاطفي واستراتيجية الكوبين المركزة على الأداء عند الأبناء. إن مثل هذه النتيجة تجعلنا ندرك أهمية تبني الوالدين لمعاملة أساسها الدفء حتى يمكن للأبناء من بناء استراتيجيات الكوبين المركزة على الأداء في مواجهة عوارض الحياة وضواغطها.

وتشير النتائج إلى وجود ارتباط أقوى بين معاملة الأمهات القائمة على العطف واستراتيجية الكوبين المركزة على الأداء مقارنة مع أسلوب معاملة الآباء القائم على نفس البعد. قد يعود ذلك إلى كون الأمهات يقضين وقتاً أكبر في التكفل بالأبناء مقارنة بالآباء،

خصوصاً في المراحل الأولى من النمو، كما أن بعض الملاحظات الاجتماعية النفسية تشير إلى أن تدخل الأب يكون في حالات النهي والزجر وإعادة النظام في البيت أكثر من حالات تبادل الود والحنان .

- تعتبر نتائج معاملات الارتباط بين أسلوب المعاملة المبني على الضبط عند الأبناء والأمهات والاستراتيجية المركزة على الانفعال متقاربة جداً. وهو ما يدل على أن المعاملة الوالدية القائمة على الضبط والقساوة وتفضيل الإخوة تنمي في الأبناء ميولات انفعالية واندفاعية للتعامل مع ضواغط الحياة ومشاكلها، ولعل هذا ما يزيد من الحدة الانفعالية كالكسك والتوتر والغضب والانزعاج وبالتالي ظهور الاضطرابات النفسية. وهذا ما سوف نحاول الكشف عنه في الفرض الثالث لهذا البحث والخاص بعلاقة استراتيجيات الكوبين بالإكتئاب.

اختلف من جهة أخرى مستوى الدلالة الاحصائية عند كل من الآباء والأمهات على بعد الدفء العاطفي في علاقته باستراتيجية التجنب وإحدى مكوناتها (التنوع الاجتماعي)، حيث ظهرت العلاقة أكثر قوة عند الآباء (مستوى الدلالة 0.01) مقارنة بالأمهات (مستوى الدلالة 0.05). بمعنى أن استراتيجية التجنب، وهي إحدى الأساليب الإجمامية، تتأثر أكثر بمعاملة الآباء من معاملة الأمهات، وهي تشير عادة إلى كل النشاطات والتغيرات المعرفية التي يستخدمها الفرد لتجنب الموقف الضاغط والحد من قوته.

يظهر من خلال العرض أعلاه أن فرضية البحث التي تؤكد على وجود علاقات ارتباطية بين إدراك المعاملة الوالدية واستراتيجيات الكوبين، قد تحققت على مستوى كل من أبعاد المعاملة الوالدية واستراتيجيات الكوبين المركزة على الأداء والانفعال والتجنب والتنوع الاجتماعي، في حين لم تتحقق في أحد مكونات التجنب وهو الالتواء، إذ لم يرتبط هذا الأخير بأي بعد من أبعاد المعاملة الوالدية.

رغم قلة البحوث التي تناولت بالدراسة أساليب المعاملة الوالدية في علاقتها باستراتيجيات الكوبين، فقد اتفقت نتائج هذا البحث مع الدراسة الرائدة الوحيدة التي وجدناها لريشتار وآخرون 1991 . Richter et al ، والتي تبين من خلال نتائجها أن المعاملة الوالدية التي تتسم بالرفض والحماية المفرطة ارتبطت مباشرة باستراتيجية الكوبين المركزة على الانفعال في حين ارتبط أسلوب الدفء العاطفي للوالدين بالاستراتيجية المركزة على المشكلة وهذا حسب تصنيف الكوبين لفلكمان ولزاروس 1980 ، Folkman et Lazarus ، وقائمة للمعاملة الوالدية EMBU لبريس 1980 ، Perris .

إن النتائج المتوصل إليها تؤكد على وجود علاقة بين عوامل المعاملة الوالدية واستراتيجيات الكوبين، حيث ارتبط عامل الدفء العاطفي للآباء والأمهات باستراتيجيات كوبين الأداء، في حين ارتبط عامل الضبط الوالدي باستراتيجيات كوبين الانفعال، وتم تسجيل ارتباط متواضع بين عامل الدفء العاطفي واستراتيجيات كوبين التجنب وإحدى مكوناتها "التنوع الاجتماعي".

تدل النتائج في مجملها على أن المعاملة الوالدية عند كل من الآباء والأمهات تستحث استراتيجيات كوبين "ضمن نفسية" (Intrapsychic) يشار إليها بمعامل ارتباط دال بين عوامل المعاملة الوالدية المتمثلة في الدفء الوالدي وكوبين الأداء وكذا بين الضبط الوالدي وكوبين الانفعال. أما عن كوبين التجنب وعلاقته بمعامل الدفء العاطفي فقد يعود الارتباط الذي تم الكشف عنه بينهما- وإن كان غير قوي - إلى بعض خصائص التنشئة الاجتماعية من جهة وإلى طبيعة المرحلة العمرية لعينة البحث.

يبدو بأن الرفض والعقاب الدائمين ومراقبة الآباء الصارمة تجعل من الطفل يعيش خوفا دائما من فقدان موضوع الحب والأمان والاستقرار، وهذا ما قد يعرقل النشاط الاستكشافي والسلوك النشط له ويؤدي بالتالي إلى ضعف استراتيجيات الكوبين الفعالة لديه. وإنطلاقا من ذلك، إن مثل هذه المعاملة الوالدية تساهم في ظهور الإستراتيجيات غير المجدية حيث تحدث أثرا إضافيا في عامل "القابلية للتأثر".

ويمكننا أن نشير ألى أن الأبناء الذين ينشئون في جو عائلي مستقر ومتزن يميلون إلى تطوير استراتيجيات كوبين عقلانية وأدائية في تعاملهم مع أحداث الحياة، في حين يميل الأبناء الذين يتعرضون للضبط والقسوة في المعاملة لاستخدام الاستراتيجيات الانفعالية كالغضب والشك في تعاملهم مع أحداث الحياة ومشاكلها.

وفي هذا الإطار جاءت نتائج بحثنا مسيرة لعدد من الدراسات السابقة ومؤكدة لنموذج "القابلية للتأثر" لبريس 1987-1988 Perris، الخاص بأثر أساليب المعاملة الوالدية في تحديد استراتيجيات الكوبين.

خاتمة

تركزت أهداف البحث الأساسية في التعرف على العلاقة بين المعاملة الوالدية واستراتيجيات وفق النموذج الإفتراضي لبريس وأسفرت النتائج على مايلي:

- هناك علاقة دالة سالبة بين بعد الدفء العاطفي للآباء والأمهات والإكتئاب عند

الأبناء.

- هناك علاقة دالة موجبة بين بعد الضبط للآباء والأمهات والإكتئاب عند الأبناء.

دراسات
في العلوم

الإنسانية
والاجتماعية

- يرتبط بعد الدفء العاطفي عند الآباء ارتباطا دالا موجبا باستراتيجية كوبيين الأداء، التجنب، والتنوع الاجتماعي.
 - يرتبط بعد الضبط عند الآباء والأمهات ارتباطا موجبا باستراتيجية كوبيين الانفعال.
 - لا يرتبط بعد الدفء العاطفي للآباء والأمهات باستراتيجية كوبيين الانفعال والالتواء.
 - لا يرتبط بعد الضبط عند الآباء والأمهات باستراتيجيات كوبيين الأداء، التجنب، الالتواء والتنوع الاجتماعي.
- تفتح هذه النتائج آفاقا جديدة لبحوث مستقبلية قادمة في هذا المجال العلمي الخصب، إذ تحتاج العلاقة الدالة بين المعاملة الوالدية والإكتناب واستراتيجيات الكوبيين التي برزت من خلال هذا البحث، لكي يمكن تعميمها، إلى مزيد من البحث والدراسة على عينات من أعمار وبنيات مدنية وحضرية ومستويات اقتصادية وثقافية مختلفة، الأمر الذي يسهم في التعرف على أبعاد المعاملة الوالدية وأثرها في تشكيل خصائص الشخصية السوية وأساليب التعامل مع مواقف الحياة، ويقود بالتالي إلى تعزيز الممارسات الإيجابية ويدعمها ويعمل على تجنب الممارسات الخاطئة بتوفير الظروف والخبرات التربوية التي توجه شخصيات الأجيال الناشئة الجزائرية بما يحقق طموحات وأهداف المجتمع.
- ويعتبر بحثنا فيما يخص هذا الجانب رائدا في البلاد العربية، وبالتالي من المفيد دراسة نفس العلاقة في البلدان العربية الأخرى لمعرفة مدى التوافق الموجود فيما يخص هذه الأبعاد وبالتالي فتح مجال للمقارنة بين مختلف المجتمعات والثقافات.

قائمة المراجع العربية:

1. ألسون، ويلارد ترجمة إبراهيم حافظ وآخرون. (1962). تطور نمو الأطفال. مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، القاهرة.
2. المركز الوطني للدراسات والتحليل الخاصة بالتخطيط. (CENEAP 2000). المرأة والرجل في الجزائر، صورة إحصائية . دراسة وطنية حول الجندر، الأمم المتحدة، الأسكوا.
3. سويف، مصطفى. (1960). الأسس النفسية للتكامل الاجتماعي، دراسة إرتقائية تحليلية، الطبعة الثانية، دار المعارف، مصر.
4. عبد العزيز، موسى رشاد. (1993) الممارسات الوالدية وعلاقتها بالاكنتاب النفسي. علم النفس المرضي، دراسات في علم النفس. دار عالم المعرفة، القاهرة.
5. غريب، عبدالفتاح غريب. (1988). دراسة مستعرضة للفروق بين الجنسين في الاكنتاب لدى عينة مصرية. مجلة الصحة النفسية، مجلد 29.
6. غريب، عبدالفتاح غريب. (1993). الاكنتاب في ضوء بعض المتغيرات الديمغرافية: الجنس والسن ومستوى التعليم والحالة الزوجية. مجلة الصحة النفسية، مجلد 34.
7. كشروود هدى. (1991). العلاقة بين المعاملة الوالدية وبعد العصابية عند الأبناء. رسالة ماجستير غير منشورة، معهد علم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر.
8. معروف، أمل. (1972). أثر بعض العوامل الاجتماعية، الإقتصادية في تنشئة الأطفال من الميلاد إلى سن الخامسة ببغداد وأريافها. مطبعة الجامعي، بغداد.
9. معمريه، بشير. (1998). مدى انتشار الاكنتاب بين طلبة الجامعة من الجنسين. الأيام الوطنية الثالثة لعلم النفس وعلوم التربية، جامعة الجزائر.

Liste bibliographique

1. Beck,A.T. (1988). Psychometric properties of the Beck depression inventory: twenty-five years of evaluation. Clinical psychology review, vol 8, 77-100.
2. Beck,A.T. & Beck,RW. (1972). Screening depressed patients in family practice. A rapid technique. Postgraduate medicine, 52,81-85.
3. Dufrenne, M. (1972). La personnalité de base, PUF, Paris.
4. Linton, R. (1977). Le fondement culturel de la personnalité, Dunod.
5. Perris,C., Jacobsson,L., Luidstrom,H., Von Knövring,L. & Perris,H. (1980). Development of a new inventory for assessing memories of parental rearing behaviour. Acta Psychiat. Scand, 61, 265-274.
6. Perris,C. (1987). Towards an integrating theory of depression focusing on the concept of vulnerability. Integr psychiatry, 5,27-39.
7. Perris,C. (1988). A theoretical framework for linking the experience of dysfunctional parental rearing attitudes with manifest psychopathology. Acta psychiatr Scand, 78,93-110.
8. Lazarus,R.,S et Folkman,S. (1984). Stress, appraisal and coping. Springer, Publishing company. New York.
9. Sears, Maccoby & Levin. (1957). Pattern of child rearing, Row, Peterson and company, New York.
10. Zerdoumi, N. (1979). Enfants d'hier, l'éducation de l'enfant en milieu traditionnel algérien. Maspero, Paris.
11. Foughali,M. (1984). L'image du père chez l'enfant algérois. OPU, Alger.
12. Folkman, & Lazarus, R.,S. (1980). Thea relationship between coping and emotion. Social and scientific medicine, 26, 309-317.
13. Perron,R. (1971). Modèles d'enfants, enfants modèles. PUF, Paris.
14. Osterrieth,P. (1983). L'enfant et la famille. In life j. et juif, p.(eds.) psychologie et education (textes de psychologie de l'enfant et de l'adolescent). Fernand Nathan, Paris.
15. Helmstadter,G.C. (1970). Research in human behaviour: education, psychology, sociology. Appleton century crofts, New York.
16. Cortina,J.M.(1993). Whai is coefficient alpha? An examination of theory and applications. Journal applied psychology, 78,1,98-104.
17. Peterson,R.A. (1995). Une méta- analyse du coefficient alpha de Cronbach. Recherche et application en marketing, 10,2,75-88.

18. Eismann,M., Gasner,P., Maj,M., Perris,C & Richter, J. (1990). Reported parental Rearing and depression: Further experiences with the EMBU in different countries. In C.N. Stefanies, C.R. Soldators & A.d. Rabavilas (Eds.), Psychiatry: A world perspective, pp.350
353. Amsterdam: Elsevier science publishers (Biomedical division).
19. Paulhan,I., Bourgeois, M. (1995). Stress et coping, les stratégies d'ajustement à l'adversité. PUF, France.
20. Paulhan.I. (1992). Le concept de coping. L'année psychologique, 92, 545-557.
21. Perris,C., Eisamnn,M., Ericsson,U., Von Knoring,L. & Perris,H. (1983). Parental-rearing behaviour and personality characteristics of depressed patients. ACCH. Psychiat. Nervenkr, 233,77-88.
22. Perris,C., Maj,M., Perris,H. & Eismann,M. (1985). Perceived parental rearing behaviour in unipolar and bipolar depressed patients. Acta psychiatr. Scand., 72,172-175.
23. Ray,C., Lindop,J. & Gibson,S. (1982). The concept of coping
Psychological medicine, 12,385-395.
24. Richter,J. (1994). Parental rearing and aspects of psychopathology with special reference to depression. In Perris,C. et al. (Eds.).
Parenting and psychopathology .Wily, England.
25. Richter,J., Richter,G., Eismann,M. (1990). Parental rearing behaviour, family atmosphere and adult depression: A pilot study with psychiatric impatients. Acta psychiatr.Scand 82,219-222.
26. Richter,J., Richter,G & Eismann,M. (1991). Perceived parental rearing, depression and coping behaviour: A pilot study in psychiatric patients soc psychiatry epidemiology, 26, 75-77.
27. Steer,R.A. & Beck,A.T. (1985). Modifying the Beck depression inventory: a replay to Vredenburg, Krams and Flett.
Psychological reports, 57,625- 626.
28. Vredenburg,K., Krams,L. & Flett,G.L. (1985). Reexamining the Beck depression inventory: the long and short of it. Psychological reports, 56,767-778.